الثقافة الدينية حماية للفرد وأمن للمجتمع

obeikan.com

obeikan.com

الثقافة الدينية حماية للفرد وأمن للمجتمع

تتلاطم الأمواج الفكرية فى كل ركن من أركان المعمورة ؛ إذ لم تعد هناك حدود تمنع انتقال المعلومات مـــن قطر إلى آخر ، فالسماوات مفتوحـــة ، وشبكات نقل المعلومات متاحة فى كل مكان ، وعليه فلن يستطيع أحد أن يحافظ على هويته وثقافته ، إلا بقدرته على إثبات ذاته وسط هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف ، ولا يمكنه البقاء فى ظل هذه الأحداث المتسارعة فى عالمنا المعاصر إلا إذا كان لديه إمكانات ذاتية تساعده على مواجهة هذا التدفق المعلوماتى ، وتسهل له التعامل بحكمة مع كل ما يرد إليه من كل حدب وصوب ، بعضه إيجابى ينبغى علينا قبوله إن وافق معتقداتنا وتقاليدنا ، أو تعديله إن كان فيه ما يخالف طبيعة حياتنا ، أو رده إن هدد سلامة مجتمعنا . وقد عبر ابن رشد عن ذلك بقوله : " ننظر فى الذى قالوه من ذلك وأثبتوه فى كتبهم (وبالتعبير المعاصر : فى الذى بثوه فى وسائل إعلامهم ، وسطروه فى شبكات الاتصال المختلفة)، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه . وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه ، وعذرناهم ..... فالحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة ، ... وهما المصطحبتان بالطبع ، المتحابتان بالجوهر " . فما تأتى به السماوات المفتوحة ، وما يرسل إلينا عبر قنوات "الإنترنيت" وغيرها ، لا نقبله بغثه وسمينه ، بل ننتقى منه ما ينفعنا ، وننتقد ونرد ما يضرنا ، فإن لم نفعل ذلك فسوف تهتز المسلمات التى تقوم عليها حياتنا ، ويتشابك الغث مع السمين فى عالم الأفكار ، فيتسرب الشك إلى عقول شبابنا ، وتلك هى الطامة الكبرى .

فما هو منهج التعامل مع الثقافات الواردة ؟ ... هل نحول بينها وبين وصولها إلى شبابنا ؟

ذلك أمر مستحيل !!!

هل نركز جهودنا على تحذير الشباب من الاتصال بهذه الثقافات ؟ ...

لا ينبغى ذلك ، فهذا أسلوب وعظى ، لا تلتفت إليه الغالبية العظمى من الشباب !!!

إن الأسلوب الأمثل للحفاظ على هويتنا وثقافتنا – وتنمية هذه الثقافة أيضاً – حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة هو تسليح الشباب ضد كل ماهو سلبى وضار فى هذه الثقافات الواردة ، وذلك لا يكون إلا بالعناية بما يُدَرَّس لأبنائنا وبناتنا فى الجامعات ، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالعلوم الإنسانية ؛ إذ هى التى تُكَوِّن شخصية الطالب ، بحيث يكون قادراً على التعامل مع الآخرين ، وفهم ثقافتهم على أساس علمى صحيح ، كما أنها تحصنه ضـــد التيارات الفكرية الهدامة ، فتؤهله لفهمها فهماً دقيقاً ، ومواجهتها بمنهج علمى سليم .

ولتحقيق هذا الهدف ينبغى أن تقوم عملية تطوير المناهج الدراسية على أساس علمى بعيد عن الهوى الشخصى والمصالح الذاتية . فعملية تطوير المناهج متعددة الجوانب ؛ فهى دينية قبل كل شيء ، فينبغى أن تراعى فيها مبادئ الدين وتعاليمه بأسلوب عصرى مُيَسِّر . وهى اجتماعية ، ينبغى أن يراعى فيها تحقيق أهداف المجتمع الإسلامى عامة والعربى خاصة ، والمتطلبات القُطْرِية على وجه أخص . وهى تربوية ، تهدف إلى تربية النشء بأسلوب علمى ، يوصل إلى استقامة الفرد على السلوك الذى يتفق مع منهج القرآن الكريم قولاً وعملاً . فإذا تحققت هذه العناصر فى المنهج ، فسوف يتخرج من جامعاتنا أفراد قادرون على الفهم والتحليل ،والتعامل مع الثقافات الأخرى بعقل واعٍ ، مدركٍ لما يدور حوله من متغيرات ، وله من الإمكانات ما يؤهله لانتقاء ما ينفعه ، وإضافة عناصر جديدة من خلقه وإبداعه ، تكون صالحة لتطوير أساليب الحياة ، بما يدفع حركة المجتمع إلى التقدم والرقى .

قصور وعـجز

ينبغى أن يشتمل المنهج الدراسى الجامعى فى أى مجال من مجالات العلوم على :

- تكوين المهارات للبحث عن المعلومة .
- تدريب الطالب على استخدام العقل فيما يعرض عليه من نظريات وأحكام .
- غرس الروح العلمية عند الطالب ، وذلك بتعـــويده على عدم التسليم بكل ما يقال له ، إلا بعد فحصه ومناقشته ، للتأكد من عدم مصادمته للقضايا التى أثبتت التجارب

صحتها ، وعدم معارضته لما تعارف الناس عليه ، واستقر فى وجدان المجتمع من مبادئ أخلاقية ، وأحكام دينية ، ومسلمات اجتماعية .

- تعويد الطالب على طرح أسئلة استفهامية واستنكارية حول ما يسمعه ، أو يتلقاه فى مدرج الدراسة .
- غرس مبدأ احترام الرأى الآخر ، ومناقشته بأسلوب مهذب ، والتسليم بوجود آراء متعددة على الساحة الفكرية فى المسألة الواحدة ، لأن ذلك من طبيعة الوجود الإنسانى .
- تنقية المفاهيم من الخرافات والأساطير المسيطرة على عقول كثير من الطلاب ، لتهيئتهم للدخول إلى عصر المعلومات المُؤَيَّدَة بالتجربة والبراهين العقلية .
- تنشيط ظاهرة التبادل بين الطالب والأستاذ ، بمعنى أنه لا ينبغى أن تكون العملية التعليمية إلقاء من الأستاذ وتلقياً من الطالب ، بل لا بد أن يكون هناك أخذ ورد بينهما ، ليكون الأمر كما عبر عنه أحد المفكرين بقوله : ليست عملية التعليم فى مـــدرج الجامعة شارعـــاً ذا اتجاه واحد ، بل هى طريق ذو اتجاهين ، بين الطالب والأستاذ ، على الأقل فى جزء مناسب من زمن المحاضرة .
- لا بد أن يراعى فى وضع المنهج الإلمام بكل أساسيات المادة ، دون الدخول فى التفصيلات والتفريعات التى يمكن أن يحصلها الطالب بنفسه لو روعيت العناصـــر السابقة فى وضع المنهج . وعليه فلا يجوز تحديد كتاب معين يحفظه الطالب للامتحان ، بل يطرح الأستاذ نقاط أساسية فى المادة ويشرحها ويناقشها مع الطلاب مع ذكر المرجع لكل نقطة وردت فى المحاضرة . وبذلك يؤهل الطالب لبحث أى جانب من جوانب المادة وتحليله ومناقشته ، بل قد يصل الأمر إلى إضافة الجديد إليه بما له من مهارات اكتسبها من منهج دراسى اشتمل على هذه العناصر السابقة .

فإذا نظرنا إلى المنهج الحالى فى جامعاتنا ، باحثين عن وجود هذه العناصر ، ارتد إلينا البصر حسيراً ؛ لأنه لم يجد فيه أى عنصر من هذه العناصر ، وإن وجد عنصر ما فى بعض المواقع — وذلك نادر — فذلك راجع إلى قدرة الأستاذ وأسلوبه فى التدريس ، وليس راجعاً إلى المنهج .

فالمنهج الحالى لا يشتمل إلا على حشو وتفريعات لا طائل من ورائها ، فليس فيه تكوين مهارات للبحث عن المعلومة ولا يمكن أن يُكَوِّن طالباً تكويناً علمياً بحيث يكون قادراً على فهم النصوص وتحليلها ومقارنتها ، فهو يركز على الحفظ – وغالبا ما يكون بدون وعى – وتفريغ ما حُفِظَ على ورقة الإجابة ، فمن لديه ملكة الحفظ نال درجة أعلى من غيره الذى لا يتمتع بهذه الملكة ، وإنما وهبه الله عقلاً واعياً يستطيع أن يفهم ويحلل ويقارن ، ولكن للأسف لا يعطيه المنهج فرصة استخدام هذه الموهبة ، فتتفوق عليه آلة التسجيل ، أقصد من يحفظ ويفرغ ما حفظ لأنه مثل آلة التسجيل : تُسَجِّل ثم تبث ما سُجِّل .

وذلك قصور فى المنهج ، وعجز عن تحقيق ما يُطْلَب من منهج دراسى فى جامعة فى القرن الواحد والعشرين ! ! !

وقاية وأمن

بعد أن ذكرنا الأسس التى ينبغى أن يشتمل عليها منهج الدراسة فى الجامعات لأى مادة من المواد الدراسية ، مهما كانت طبيعتها وموضوعها ، نعرض الآن لما يجب أن يكون عليه منهج الدراسة فى فرع مـــن فروع المواد الإنسانية ، ألا وهو : الثقافة الدينية ، آثرت أن يكـــون العنوان الثقافة الدينية ، وليس الثقافة الإسلامية ، ليندرج تحته كل الدراسيين على اختلاف أديانهم وعقائدهم . فالثقافة الدينية ، أيًّا كان الدين ، وعلى أى وضع كانت العقيدة ، جزء أساسى مـــن بناء الهوية الثقافية ، بل هى الجانب الأهم فى تكوين شخصية الطالب دينياً بحيث يكون قادراً على التعامل مع الآخر ، ومحصناً ضد التيارات الهدامة على نحو يؤهله لفهمها فهماً دقيقاً ، ومواجهتها بمنهج علمى سليم ، قوامه – فى مجال الثقافة الإسلامية – القرآن الكريم ، وما أجمعت الأمة على صحته من حديث رسول الله ﷺ فى إطار عقلى مقبول وأسلوب منطقى مفهوم .

وتقوم فلسفة مادة الثقافة الدينية على إعداد الطالب علمياً ليصبح مؤهلاً لمواجهة الأحداث التى تتسارع فى عالمنا المعاصر ، والتعامل بحكمة وعقلانية مع المعلومات التى تتدفق من كل حدب وصوب ، بحيث ينتقى منها النافع له ولمجتمعه ، حتى لا تهتز المسلمات ويتسرب الشك فى هويته من جراء ما تثيره هذه المعلومات فى نفسه ، مما يشيع الاضطراب فى المجتمع . فالطالب الذى تكونت

عقليته على أساس صحيح فى مجال الثقافة الدينية ، يصبح مؤهلا لمعالجة الأمراض الاجتماعية ، حيث يعمل على تقويم السلوك ، وسد الثغرات أمام الدعوات المضللة التى تحاول التغلغل فى المجتمع ، بغية السيطـــرة عليه ، لمحو هويته الدينية ، وفى الوقت نفسه يتسم مثل هذا الطالب بالاعتدال فى إقامة الشعائر ، متجنباً الغلو والتطرف ، رافضاً العنف والتشدد ، فيستقيم سلوك الفرد ، ويعم الانسجام بين الطبقات ، وترفرف راية الأمن والأمان على المجتمع .

ولهذا ينبغى أن يراعى عند وضع المنهج الدراسى للثقافة الدينية ما يلى :

- تنمية الروح الدينية عند الطالب ، سواء كان من جانب الاعتقاد بخالق للكون ، أو من ناحية أن الدين — وخاصة الدين الإسلامى — يحث على البحث فى الكون ، واستكشاف أسراره ، وتسخير ما فيه لصالح الحياة الإنسانية .
- تقويم السلوك ، وذلك بالنص فى المنهج على القيم والمبادئ التى تدعو الإنسان إلى التحلى بالأخلاق الحميدة ، والالتزام بكل ما يحقق للإنسان سلاماً وأمناً واطمئنانا .
- من أهم ما يحتوى عليه منهج الدراسة للثقافة الدينية — وخاصة الإسلامية — أن يقوم على أساس القرآن الكريم ، وعلى ما أجمعت الأمة على صحته من السنة النبوية الشريفة ، مبتعداً عن الخلافات المذهبية أو البيئية ، أى التى ارتبطت بأحداث وقعت فى العصور السابقة ، ولم يعد لها وجود الآن ، فالمنهج السليم لا بد أن يقوم على المبادئ الأساسية فى الإسلام ، مع مراعاة مناقشة مشاكل العصر وطرح حلول دينية لها ، تناسب ظروف البيئة ، مع الالتزام بوضعها فى إطار الممكن بالنسبة لجمهور المسلمين .
- التركيز على أن اختلاف العلماء فى الأحكام الدينية أمر طبيعى ، ينبغى أن يتقبله المسلم بارتياح ، لأن فلسفة الحياة تقوم على هذه الظاهرة ، ولأن ذلك من طبيعة الإسلام من ناحية كونه ديناً عالمياً لكل البشر فى كل أقطار الأرض . ومما لا شك فيه أن ظروف الحياة على هذه الكرة الأرضية متباينة ، بل ومتباعدة أحياناً ، فكان لابد أن يكون هناك فى مسائل التشريع الحياتية - والعبادية أحياناً -

تنوع ، حتى تتاح الفرصة ليطبق كل مجتمع ما يلائم ظروف حياته الزمنية والمكانية . فإذا فهم الطالب ذلك خفت حدة التعصب ، وتوارى التطرف ، وبذلك تختفى الصراعات المذهبية ، ويتوارى العنف الطائفى ، فيطمئن الفرد ، وتنتظم نغمات الحياة ، ويعم الأمن والاطمئنان فى المجتمع .

ومن العناصر المهمة — إن لم يكن أهم عنصر — فى مقرر الثقافة الإسلامية : الاعتراف بالآخر ، وأقصد به : احترام عقيدة الآخرين وشريعتهم ، حتى ولو كانوا كفاراً ووثنيين ، لأن ذلك منصوص عليه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ "..... لكم دينكم ولى دين " [الكافرون : ٦] ، فمن باب أولى أصحاب الرسالات السماوية ، كاليهود والنصارى ، الذين سماهم القرآن الكريم : أهل الكتاب ؛ لأن من أركان الإسلام الأساسية : الاعتراف بمن أرسله الله قبل محمد ﷺ ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۝٢٨٥ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، فالإيمان الصحيح ، والإسلام المقبول هو الذى يتضمن الاعتراف برسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، فإذا استقر ذلك فى وعى الطالب نظر إلى أتباع هذين الرسولين — وإن اختلف فهمهم لما أُنزِل عليهما مع ما أخبر به القرآن الكـريم — بأنهم إخـوان له فى العقيدة ؛ إذ يجمعهم قاسم مشترك ، ألا وهو : أن رسالتهم سماوية ، فهى من المنبع الذى نـزل منه القرآن الكريم ، والجميع يتوجهون بالعبادة إلى إله واحد ، وإن اختلفت تصوراتهم له ، وتباينت طرق التوجه إليه. وبذلك تسود روح الأخوة بينهم ، ويساند بعضهم بعضاً فى نشر المبادئ المشتركة ، ومواجهة العدو المشترك ، ألا وهو : الماديون الملحدون ، الذين يناصبون الدين العداء ؛ فهم ينشرون الرذيلة فى المجتمع ، ويغرسون روح

العداوة والبغضاء بين الشعوب ، ليدمروا العالم ، فأولى بنا أن نبنى مقرراتنا الدراسية على التسامح والود مع أبناء الأديان السماوية ، لإعداد شباب يضع يده مع أيدى شباب هذه الأديان ليواجهوا سوياً هذه الفوضى العارمة التى يبثها أعداء الأديان فى المجتمع ، وبذلك نبنى بيئة حياتنا على أساس سليم ، ونُؤَمِّن مستقبلنا بسياج يستعصى على الاختراق ، لنصد كيد من يريد للمجتمع سوءاً أو يضمر له حقداً .

بيان أن الإسلام ليس صلاة وصياماً فقط ، وإنما هو دين يحث على العمل الدنيوى لتعمير الأرض ، جنباً إلى جنب مع أداء العبادات المفروضة ، بل إنه يعتبر تعمـــير الأرض عبادة لله ، ويفضل طلب العلم على الاعتكاف بالمساجد يقول رسوالله ﷺ : " **.... وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .....** "[٥] كذلك يفضل نشر العلم على تأدية النوافل من صلاة وصيام ، فقد سئل رسول الله ﷺ عن رجلين فى بنى إسرائيل ، أحدهما كان عالماً يصلى المكتوبة ، ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل ، أيهما أفضل ؟ ، قال رسول الله ﷺ : " **فضل هذا العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار ويقوم الليل كفضلى على أدناكم رجلاً** "[٦] . وعليه فينبغى أن يحتوى مقرر الثقافة الإسلامية على هذا المعنى ، كى لا يستغرق الشباب فى العبادة مهملاً واجبه إزاء أمته ، ذلك الواجب الذى يحتم عليه دينياً أن يبذل قصارى جهده فى سبيل التنمية ، حتى تستطيع الأمة الإسلامية أن تحتل موقعاً ملائماً فى سلم الحضارة الإنسانية ، ففى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على النظر والبحث فى الكون والطبيعة والإنسان وغيره من الكائنات الحية ، يجب أن يعرف الطالب هذه

---

[٥]) أبو داود : العلم ، باب ١ ، رقم ٣٦٤١

[٦]) الدارمى : المقدمة ، باب ٣٢ ، رقم ٣٤٩

الآيات ويفهمها فى دراسته لمقرر الثقافة الإسلامية ، كى يدرك أن الإسلام دين ودنيا ، عبادة وعمل ، روحانية ومادية .

- لا ينبغى أن يقوم منهج الثقافة الإسلامية على حفظ آيات من القرآن الكريم ، وتلقين أحاديث من السنة النبوية فقط ، بل ينبغى أن يكون له من المقومات ما يساعد الطالب على فهم روح الإسلام ، واستكشاف أسلوب معاملته فى تقويم الإنسان ، ذلك الأسلوب الذى من أهم معالمه : التيسير لا التشدد تنفذاً لأمر رسول الله ﷺ فيما روى عنه أنه قال : " **يسروا ولاتعسرو ، وبشروا ولا تنفروا** " [٧] ، كما من أهم معالمه أن الأصل فى الأحكام الإباحة ، ما لم يرد نص قطعى الدلالة بتحريمه ، أما ما يحتمل أكثر من وجه فروح التعاليم الإسلامية تقضى أن يأخذ المسلم من هذه الآراء ما يسهل له سبل الحياة ، ويتلاءم مع ظروفه ومتطلبات عصره فقد روى عن عائشة أنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه . [٨]

- بيان أن التراث الفكرى للمسلمين لا يقبل كله ؛ لأن ذلك يوقعنا فى تناقض ، لأن فيه من الآراء ما يناقض بعضه بعضاً ، ولذا ينبغى أن ننقيه فنقبل منه ما وافق القرآن الكريم ، فإن لم يكن له مثيل فى القرآن ، احتكمنا إلى العقل ، فنقبل ما يقره العقل ، ونرفض ما يرفضه ، وبذلك ننقى التراث من الخرافات والأساطير التى ليس لها أصل فى القرآن الكريم ، فننقذ الشباب من الأوهام التى عطلت قدراته العقلية ، ونحميه من التصورات الهلامية التى أعجزته عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة .

- غرس المبادئ والقيم الاجتماعية والإنسانية فى نفس الطالب ، مثل الصدق ، والأمانة ، والالتـــزام ، والشرف ، وحقوق الجار ، وبر الوالدين ، وغيرها من

---

[٧]) البخارى : العلم ، باب ١١ ، رقم ٦٩

[٨]) البخارى : المناقب ، باب ٢٣ ، رقم ٣٥٦٠

الأخلاق التى تميز الهوية العربية والإسلامية عـــن غيرها ، وكذلك العدل ، والسلام ، والأخوة الإنسانية ، وكيفية التعامل مع الشعوب ، والأعراق ، والجنسيات الأحرى .

- ينبغى أن يشتمل منهج الثقافة الدينية على تعويد الطالب على السلوك الحضارى ، مثل : النظافة ، والنظام ، والمحافظة على البيئة ، واحترام المواعيد ، وتنمية التذوق الجمالى عنده والحرص عليه ، سواء فيما يتعلق به شخصياً ، أو يرتبط بما يحيط به مما يتخذه فى شئون الحياة العامة ، كذلك الالتزام بما تعارف عليه المجتمع مـــن تقاليد وعادات ، وتجنب ما يستقبحه المجتمع ، وينبذه من سلبيات . وبذلك ينسجم سلوكه مع الذوق العام ، ويلتحم أسلوب حياته مع عادات أمته وتقاليدها .

ومما لاشك فيه أنه إذا روعى فى وضع منهج الثقافة الدينية لطالب الجامعة ما بيناه سابقاً ، فسوف تُخَرِّج طالباً سوياً فى تفكيره ، ينظر إلى ما يحيط به من تيارات فكرية نظرة فاحصة ، ينتقى منها ما يعود عليه بالنفع والاطمئنان ، ويرفض ما فيه صرر له ولأمته ، الأمر الذى لا يحتاج معه إلى وصاية فكرية ، أيًّا كان نوع هذه الوصاية ، فهو قد حُصِّن بالمبادئ الدينية التى تغذى الجانب الروحى عنده ، تلك المبادئ التى لا تفصله عن متطلبات عصره ؛ فهى تدعوه إلى استعمال العقل ، والنظر إلى اختلاف الآراء وتعددها بارتياح ، فلا يترعج من كثرتها ، ولا يعتريه القلق من غلو بعضها ، وإهمال البعض الآخر للمبادئ والقيم ، لأنه تعلم فى مدرج الدراسة أن هذا هو طبيعة الفكر الإنسانى ، وتلك هى فلسفة الحياة فى المجتمعات الإنسانية ، فعليه - بتكوينه الفكرى على منهج من هذا النوع - أن يناقش كل ماهو مطروح على الساحة بنفسه ، وأن يرد بالأدلة الواضحة والحجج والبراهين الساطعة ما يراه منحرفاً ، وأن يؤيد مايراه تدعيماً لهويته ، وتمكيناً لثقافته ، وترسيخاً لتقاليد وعادات أمته .

لماذا الثقافة الدينية

إن هوية الأمة – أى أمة – تقوم على ثقافتها ، ووجودها يرتكز على دينها وعقيدتها ، فكلما حافظ الأفراد على ثقافتهم ، وتمسكوا بها ، وحموها من الذوبان فى الثقافات الأجنبية ، برزت هويتهـــم ، وتميز كيانهم بين الثقافات ، وثبتت أقدام أمتهم بين ركب الأمم ، وتسامت هاماتهم فى خضم الأمواج العالية على الساحة الدولية .

كذلك الأمر فيما يتعلق بدينها وعقيدتها ؛ فالدين أساس الوجود ، ومرتكز الحياة ، فلا توجد أمة بدون دين ، ولا يبرز كيان المجتمع إلا بالدين والعقيدة ، فهوية الأمة الإسلامية دينها ، ووجودها مرتبط بالعقيدة : سلوكاً ، وأخلاقاً ، وحضارة . ولا تتحقق لها حياة كريمة إلا إذا تربى أبناؤها على تعاليم الإسلام ، فدرسوا أسس العقيدة وتدربوا على مواجهة ما يوجه إليها من افتراءات ، خاصة فى عصرنا الحاضر ، حيث تتسارع الأحداث ، وتتدفق المعلومات من كل حدب وصوب مؤثرة فى صياغة الحياة فى المجتمعات الإسلامية ، فلو لم يتسلح الشباب للتعامل معها تهتز عندهم المسلمات ، ويتشابك فى ثقافتهم الغث مع السمين ، فيتسرب الشك إلى عقولهم ، لهذا كان من الواجب علينا عقدياً أن تشتمل مناهج التدريس فى الجامعات الإسلامية على مادة الثقافة الإسلامية ، لكى نحمى شبابنا من التيارات الهدامة ، ونصون عقيدتهم من التلوث الفكرى – أو من العنف والتطرف – المنتشر على الساحة الفكرية فى طول الكرة الأرضية وعرضها ، حتى يكونوا قادرين على المواجهة فى كل زمان ومكان .

وخير دليل على أهمية تدريس مادة : الثقافة الإسلامية فى الجامعات الإسلامية مانراه اليوم فى المجتمع من شعور الشباب بأنهم ضائعون ، لا يعرفون لهم هوية يرتكزون عليها ، ولا يشعرون بكيان يجمعهم فى نسق واحد ؛ فهم مشتتون بين الثقافات المختلفة ، وحائرون فى دهاليز مظلمة لا يظهر لهم فيها طريق يقودهم إلى مستقبل يحقق لهم أحلامهم وآمالهم ، أو يشبع رغباتهم المشروعة ، فعيونهم على الهجرة إلى خارج الوطن ، وآمالهم معلقة على اللحاق بالغير ، تاركين أوطانهم خالية من عقول تحميها وسواعد تبنيها ، وعزائم تصر على دفعها إلى الأمام لتتخذ مكانها بين الأوطان . فمعظم شباب اليوم لا يرى له مستقبلاً فى بلده ، بل فى أماكن أخرى بعيدة عن الوطن الذى رباه

ورعاه فكرياً وثقافياً ، فضلاً عن تنميته جسمانياً وحمايته اجتماعياً ونفسياً ، فهو يحيا فى وطنه غريباً ، لأنه لم يتلق من الثقافة الدينية ما يشعره بهويته ، ويغرس فيه حب وطنه وأهله ، ولم يتعلم من القيم والمبادئ الدينية ما يحميه من الحيرة التى أصيب بها عندما تلقى من السماوات المفتوحة تيارات ثقافية متعددة الألوان والأشكال ، تدعوه إلى التخلى عن هويته وثقافته ، وتقليد ما تعرضه عليه من أساليب الحياة وطرقها . ولكثرة هذه النماذج المعروضة عليه ، وعدم حمايته بالثقافة الدينية ، فقد صاغ بنفسه نموذجاً لحياته لا يعرف له هوية ، ولا تنسجم عناصره فى إطار محدد ، فهو خليط من النماذج والصور العالمية المتعددة الاتجاهات والفلسفات ، وليته اختار منها العناصر الإيجابية التى تساعده على رقى حياته وتقدمها ، بل كان معظم ما اختاره هو من نمايات الصور الحضارية فى العالم المتقدم .

لن يخرج شبابنا من حالة الضياع التى وصل إليها إلا إذا أدرك هويته عن طريق دراسة مادة الثقافة الدينية فى المرحلة الجامعية ، بشرط أن يضع منهجها علماء بارزون فى العلوم الدينية ، ومدركون لمعطيات العصر ، وقادرون على مراعاة النقاط العشر السالفة الذكر عند وضعهم لهذا المنهج ، بالإضافة إلى إعداد كوادر التدريس إعداداً يؤهلهم لفهم طبيعة الفكر الإسلامى ، من حيث : التعددية ، والسماحة ، والاعتراف بالرأى الآخر ، وحرية المسلم فى اختيار ما يناسبه من الآراء ، وعدم استعمال القوة لفرض رأى معين .

فهذه هى القواعد الأساسية فى دراسة الثقافة الدينية ، التى تسهم فى تكوين عقلية الشباب ، حتى يدرك هويته ، ويتمسك بها ، ويعرف مكان أمته بين الأمم ويعتز بها ، ويدافع عنها .... بل يتفانى فى سبيل رقيها وتقدمها ، ويحرص فى عمله على الإسهام بأقصى ما يمكنه فى بناء أمته ، لتحتل المكان اللائق بها بين الأمم .

obeikan.com